

## الحياة الأسرية في المجتمع العربي الإسلامي بالقرن الأول الهجري

د/ عصام منصور صالح (\*)

مقدمة :

حقيقة لهذا الموضوع أهميته، والبحث فيه يعد محاولة للخروج عما اهتمت به مصادرنا الأولية بالبحث في السياسة وحياة المسلمين السياسية، وتمحورها حول حياة الحكام وإنجازاتهم وهزائمهم وانتصاراتهم، فالمطالع لمصادرنا التاريخية الأولية التي تؤرخ لأحداث القرن الأول للهجرة يلاحظ دون كبير عناء إيلائها الحديث عن الفتن التي عصفت بديار الإسلام بدءاً من حروب الردة وانتهاء بالصراع حول الخلافة التي برزت أعنف صورها في موقعتي الجمل وصفين في صدر الإسلام، ثم موقعة مرج راهط في العصر الأموي، وما صاحب ذلك من ظهور نحلة الخوارج التي تبيح الخروج على السلطان الجائر، حتى يعتقد القارئ وكأن لم يكن هناك هم وشغل للمسلمين إلا القتل وسفك الدماء والصراع الدامي، أي إبراز أحداث الحياة في القرن الأول الهجري دموية، فما يعاب على مصادرنا إهمالها البحث أو الحديث في موضوعات حضارة الإسلام، وفي طور النشأة في حديث متصل أو أفراد أبواب له، اللهم ما كانت توردها في إشارات مقتضبة ومثال ذلك الحياة الاجتماعية

أو الاقتصادية أو الثقافية، لذلك رأيت اختيار موضوع الحياة الأسرية من بين الموضوعات التي تؤرخ لتاريخ الإسلام الاجتماعي، أرى أنه جدير بالبحث وجمع شذرات أخباره، ليس فقط من مصادر التاريخ العام، بل حتى من المصادر الفقهية والأدبية، وذلك أن المصادر الفقهية ككتب السنن والأحاديث والتفاسير تشتمل على مادة تاريخية اجتماعية في حالة جمعها بعضها إلى بعض تعطي صورة حية عن حياة المسلمين الاجتماعية، وخاصة حياة الأسرة العربية نواة المجتمع العربي الإسلامي، ولذلك رأيت البدء بجزء - أي الأسرة من الكل - وهو المجتمع.

فالأ أسرة باعتبارها أولى لبنات المجتمع والنواة الأولى له، تبدأ بالرباط للمقنس بين الرجل والمرأة بعقد النكاح، يشملهم سقف بيت واحد، وتساهم في بناء جيل من أفراد صالحين، نشأوا نشأة إسلامية طيبة في ظل قيم ومبادئ إسلامية أساسها التربية المستمدة من تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة، في بيئة صالحة هي الأسرة المكونة من الأب والأم. وبناء على ما سبق أرشد الإسلام اتخاذ السبل لبناء الأسرة المثالية التي ستعود نتائجها على المجتمع وبالتالي على الأمة الإسلامية ككل.

فقد حض الإسلام على التزوج وترك حياة العزوبية:

قال الرسول ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" (١)، "النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا

(١) البخاري، إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، شرح للكرماني، مصر، مطبعة الهيئة المصرية، ١٩٣٧، ج ١٩، ص ٥٦.

## الحياة الأسرية في المجتمع العربي الإسلامي بالقرن الأول الهجري

### فكر وإبداع

فإني مكاثر بكم الأمم<sup>(٢)</sup>، وبذلك أوجب الإسلام الزواج وحث عليه ورغب فيه، ليس لسبب منع الوقوع في المحرمات فحسب، وإنما لسبب آخر هو إكثار النسل ليديم الجهاد، وتأخذ الأمة بأسباب القوة عددا وعدة، لرفع رايته والدفاع عنه ضد أي خطر كان.

فقد قال الرسول ﷺ: "انكحوا تكاثروا فإني مباهي بكم الأمم يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>، أي مفاخر بكثرتم الأمم، والخطوة التالية لتكوين أسرة مسلمة مثالية تتمتع بالاستقرار والأمان، وهو ما نصح به سيدنا محمد ﷺ أمته، ومن أراد أن يتم دينه، ليعود بذلك على الأسرة والأبناء بالإيجاب وحياة الأمان، فقد قال الرسول ﷺ: "ما أفاد الرجل بعد الإسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسها وماله إذا غاب عنها"<sup>(٤)</sup>، وكذلك كان المسلم حريصا على اختيار زوجته، وذلك بالتحري عن أخلاقها وتربيته وأخلاق نوبها وعن دينها، فقد ذكر أن أبا الأسود قال لابنيه: "أحسنتم إليكم قبل أن تولدوا وبعده، قالوا كيف أحسنتم قبل الولادة، قال اتخذت أمهاتكم من حيث لا تصابون بهن"<sup>(٥)</sup>، كما قال أحدهم: "لا أتزوج حتى

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد اللقزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، للقااهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢، ج ١، ص ٥٩٢.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٩٦.

(٤) ابن ماجه، نفس المصدر، ج ١، ص ٥٩٦.

(٥) الأصبهاني، أبو القاسم حسين محمد الراغب (ت ٥٠٢هـ)، محاضرات الأنباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١، ج ١، ص ٣٢٩.

أرى ولدي منها، قيل كيف، قال أنظر إلى أبيها وأميها، فإنها تجر بإحداهما<sup>(٦)</sup>، أي أن الطفل سيثبته أحدهما إما في الخلق أو الخلق.

أما في عهد بني أمية فقد اعتبر عبد الملك بن مروان أن الفارسية خير من الولد، والإغريقية للخدمة<sup>(٧)</sup>، وكان قوله في ذلك: "من أراد النجابة فعليه بقينات فارس والخدمة فبنات للروم".

كما أن اختيار الزوجة في العصر الأموي لا ينصب كثيرا على اختيار ذات الجمال، فقد قيل لحكيم قد تزوج بقبيلة: "هلا تزوجت بحسنا؟ فقال: اخترت من الشر أقله، وأنشد يقول<sup>(٨)</sup>:

وما تصانف يوما لؤلؤا حسنا بين اللائي إلا كان متقوبا

وعلاوة على ما تقدم فإن المسؤولية لا تقع على الزوجة وحدها في بناء الأسرة، فقد قيل للحسن بن علي: "فلان خطب إلينا فلانة، قال: أهو ذو عقل ودين؟ قالوا نعم، قال: فزوجوه"<sup>(٩)</sup>، وقيل سأله رجل: "إن لي بنية، فمن

(٦) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٤، ص ٤، الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٣.

(٧) إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، المغرب، دار الأفاق الجديدة، ١٩٩٠، ص ٢٣٥.

(٨) الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٣.

(٩) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٩، ج ٦، ص ١٠٠.

ترى أن أزوجها، قال زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها<sup>(١٠)</sup>.

المهور :

جعل الله سبحانه وتعالى مهر الزوجة فريضة واجبة بنص الآية: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾<sup>(١١)</sup>، والمهر كان بمثابة مبلغ رمزي ليحفظ حق الزوجة، ولم يغال المسلمون بالمهر الذي يتقل كاهل من يريد الزواج، فعلى سبيل المثال: خطب مشرك مسلمة فأبى الزواج منه حتى يسلم، فلما أسلم كان صدقها منه على درهمين<sup>(١٢)</sup>، كما أن الرسول ﷺ قد تم المغالاة في المهور، فعن سيدنا عمر قال: "لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، كان أولاكم بها محمد رسول الله، ما أصدق امرأة من نسائه ولا بنت من بناته أكثر من اثنتي عشر أوقية"<sup>(١٣)</sup>، ومقدار الأوقية كان ٤٠ درهماً، وكان للرسول ﷺ يقول لأصحابه: "اطلب ولو بخاتم من حديد" بل كان يزوجه على ما معهم من القرآن<sup>(١٤)</sup>.

---

(١٠) ابن عبد ربه، نفس المصدر، ج ٦، ص ١٠٠.

(١١) سورة النساء: آية ٤.

(١٢) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٩.

(١٣) ابن ماجه، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠٧.

(١٤) البخاري، المصدر السابق، ج ١٩، ص ١١٠، ١١١.

### إعلان النكاح ووليمة العرس وحفلات العرس :

وهو بمثابة حفل الزفاف وشرعية للزواج، أي الفرق بين الزواج الشرعي وغيره، وحث عليه الرسول ﷺ "أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال" (١٥).

أما عن وليمة العرس فهي عبارة عن إقامة المآدب ودعوة ذوي القرابة والأصدقاء لمشاركة الزوجين أفراحهما، وكانت الولائم تتوقف على حال العريس المادية، فإذا كان غنيا تقدم أشهى وأفخر المأكولات ويتم دعوة أهل الطرب لإحياء الحفل بالغناء، أما إذا كان العريس فقيرا فكان يكتفى بوليمة العرس فقد قال الرسول ﷺ لأحد أصحابه عندما تزوج "أولم ولو بشاة" (١٦).

وكانت للعروس تزف إلى زوجها ومعها صديقاتها وأهلها، وتسمى الزفة أو ليلة الزفاف، في موكب من الإبل المزينة وتلف العروس بالطيب، ويتخلل هذا الموكب الغناء والضرب على الدفوف، وكان للناس يلبسون أحسن ما لديهم من الثياب تعبيرا عن الفرحة (١٧)، وكانت آلات الطرب، العود والطبل والدف، وكان أهل المدينة يحبون الغناء في مثل هذه المناسبات فقد قالت السيدة عائشة: "كانت عندي جارية من الأنصار فزففتها، فدخل علينا

(١٥) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، للقاهرة، المطبعة العصرية، ج ٩، ص ٢١٥.

(١٦) مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، للموطأ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، ج ٢، ص ٥٤٥.

(١٧) جاد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٠، ج ٤، ص ٦٢٩.

## الحياة الأسرية في المجتمع العربي الإسلامي بالقرن الأول الهجري

### فكر وإبداع

الرسول ﷺ فلم يسمع غناء فقال يا عائشة ألا تبعثين معها من يغني فإن هذا الحي من الأنصار يحبون الغناء"، ونفهم من ذلك أن الغناء في هذه المواطن، مواطن الفرح، لم ينكره الرسول ﷺ بل أوصى به<sup>(١٨)</sup>.  
وصايا الآباء للبنات عند الزفاف :

فقد ورد عن أبي الأسود أنه إذا زوج بنت له وصاها: "إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق"<sup>(١٩)</sup>، أي الغيرة التي ليست في موضعها وهو الإفراط فيها، وكذلك هناك الكثير من الوصايا التي وردت في المصادر التاريخية بحسن المعاشرة ولكن لا يتسع المقام هنا للحديث عنها أو حصرها كلها، ولكن كان لزاما أن نوجز ونذكر بعضا منها، فقد روي عن أم تنصح ابنتها قبل الزواج قائلة لها: "عليك بجميل المعاشرة بالسمع والطاعة، ففي حسن الصحبة راحة للقلب ورضا للرب، واحرصي ألا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه خبيث ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الموجود، وتعهدي لوقت طعامه، والهواء عند نومه فحرارة الجوع ملهبة وتغيب النوم مغضبة، ولا تفشي له سرا، ولا تعصين له أمرا"<sup>(٢٠)</sup>.

(١٨) النويري شهاب الدين أحمد عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، للقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، لا.ت. ج ٤، ص ١٣٨.

(١٩) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٦.

(٢٠) الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٢.

## تعدد الزوجات :

قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا فَوَاحِدَةً﴾<sup>(٢١)</sup>، وبذلك أمر الإسلام وقيد بشرط العدل بين الزوجات في المعاشرة والإنفاق، وربما سبب التعدد هو ما يطرأ على الأسرة من أحوال مثل مرض الزوجة أو عقمها، ونجد في العصر الأموي رغم إكتساح الجواري للبيوت أن المرأة ظلت تصاحب الرجل في حروبه لكن دون مشاركة في القتال، إلا أن دورها كان إشعال حماس الرجل ومساندته مساندة معنوية<sup>(٢٢)</sup>، ولكن مع مرور الوقت تخلت السيدات العربيات شيئاً فشيئاً عن نفوذهن للجواري، حيث امتزج المجتمع العربي بالعناصر غير العربية وتأثرت العصبية العربية.

ومع هذا قلت عادة الطلاق فلم تنتقل إلى دور القضاء، لأن أم الأولاد الحرة ظلت صاحبة السيادة الأولى في البيت<sup>(٢٣)</sup>.

ولا يفوتنا في سياق الحديث عن تعدد الزوجات، أن المسلمين أقبلوا على الزواج من الذميات من الذين أوتوا الكتاب سواء ما فعله القادة العرب من التزاوج من الأميرات اللاتي وقعن في الأسر<sup>(٢٤)</sup>، أو غير ذلك مثل ما فعله سيدنا محمد ﷺ عندما تزوج مارية القبطية التي أرسلها المقوقس، وكذلك

(٢١) سورة النساء: آية ٣.

(٢٢) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٢٣) نفسه، ص ٢٣٥.

(٢٤) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ٢٣٤.



## الحياة الأسرية في المجتمع العربي الإسلامي بالقرن الأول الهجري فكر وإبداع

سينا عثمان بن عفان فقد تزوج من نائلة الكلبيّة وهي نصرانيّة، وأسلمت على يديه<sup>(٢٥)</sup>.

لقد كان موقف الإسلام من زواج المسلمين بالذميّات واضحاً ومحدداً بنص الآية للكرامة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ لَطَائِفُ طَعَامِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾<sup>(٢٦)</sup>؛ والقصد المؤمنات من اليهود والنصارى أهل الكتاب حلال الزواج منهن بعد دفع أجورهن لهن.

أما عن موقف الكنيسة، فقد كان معاقبة المرأة النصرانيّة إذا تزوجت بالمسلم وكذلك معاقبة عائلتها، إلا أن بعض النصرانيّات خالفن أوامر الكنيسة وتزوجن دون موافقتها<sup>(٢٧)</sup>.

### المعاشرة بين الزوجين :

فقد تميزت بحسن المعاشرة وما انعكس عليه بتربية الأبناء . فقد كان الرجل صاحب كلمة الفصل في البيت، ومن واجباته طلب الرزق ليعول أسرته ليعفها ويغنيها عن السؤال، وسعيه وشقائه اعتبره الإسلام صدقة

---

<sup>(٢٥)</sup> المعافري المالقي أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٠٥هـ)، الحقائق الغناء في أخبار النساء، لدار العربية للكتاب، لايت. ص ٤٠.

<sup>(٢٦)</sup> سورة المائدة: آية ٥، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ص ٣٧٦.

<sup>(٢٧)</sup> جاسم صكبان، "الحياة الريفية في الجزيرة للفراتية في القرن الأول الهجري"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٦، ١٩٨٥، ص ١٢٦.

تحسب في أعماله يوم القيامة، وبما أن الرجل هو صاحب القول الفصل في بيته، فقد ابتعد عن الإسراف في التقويم للزوجة، فكان سبيله هو استخدام المرونة والحكمة، فقد قيل عن الشاعر الفرزدق أنه شكا زوجته، فقال له شيخ: "أفلا تكسعها بالطلاق"، فقال: "قاتلك الله: ما أعلمك من شيخ" (٢٨).

بالإضافة إلى تحمل الرجل مسؤولية ومشقة النفقة على أهله كان يعين زوجته في أعمال المنزل، فقد سئلت السيدة عائشة ماذا يصنع الرسول ﷺ في البيت، قالت: "كان في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج" (٢٩)، كما أنه كان يحسن معايشة أزواجه فكانت السيدة عائشة إذا هويت شيئاً غير محظور تابعها عليه، وإذا شربت من أناء أخذه فوضع فيه موضع فمها وشرب، وكان يمكنها من اللعب ويسابقها على الأقدام (٣٠)، إلا أنه في العصر الراشدي نجد سيدنا عمر يقول: "أكثروا الهن من قول لا" (٣١)، وذلك لأن المرأة تتأثر بالعاطفة أكثر من العقل، وقيل إن امرأة عارضته في أمر يدبره، فقال لها مالكن وأمور الرجال، إن كانت لنا يكن حاجة دعوناكن (٣٢)، وسئل الحجاج مرة: "أيمازح الأمير أهله؟ فقال: ما تروني إلا شيطاناً والله لربما قبلت أخمص إحدى إحداهن" (٣٣).

(٢٨) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢٩) البخاري، المصدر السابق، ج ٢٠، ص ١٢.

(٣٠) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٨، ص ٥٨.

(٣١) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٧.

(٣٢) الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٨.

(٣٣) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٠.

## الحياة الأسرية في المجتمع العربي الإسلامي فكر وإبداع بالقرن الأول الهجري

### تربية الأبناء وتدريبهم :

فقد كان مسؤولية الطرفين الزوج والزوجة فكل منهما دور مكمل للآخر، فقد روي عن سيدنا محمد ﷺ أنه قال: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"<sup>(٣٤)</sup>، وللأبناء حقوق على الأبوين، بأن يحسن اسمه ولقبه، ويعوده على مكارم الأخلاق والآداب الاجتماعية، وأن يكون له قدوة حسنة، ويبين له الحرام والحلال وتدريبه على العبادات، للصلاة والصيام والطهارة.

علاوة على ما سبق فقد اهتم المسلمون بأن ينمو في أولادهم غريزة للدفاع عن النفس والفروسية، وما تتطلبه الحياة العامة من مهارات تدريباً عملياً، فقد ذكر أن الحاجاج قال لمعلم ولده "علم ولدي للمباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم"<sup>(٣٥)</sup>.

كذلك اهتمت الدولة الإسلامية بتربية الأبناء لإعداد جيل قوي البدن، حتى إن سيدنا عمر كان يكتب إلى سكان الأمصار "أما بعد فعلموا أولادكم للعلوم والفروسية وعلموهم الأمثال وحسن الشعر"، ولعل تعليم الأمثال لما فيها من النصيح والعبر التي تنفع الولد في حياته، وتكون له مثلاً يحتذى به في

(٣٤) البخاري، المصدر السابق، ج ١٩، ص ١٤٩.

(٣٥) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، بيروت، مكتبة الهلال،

١٩٦٨، ج ٢، ص ١٧٩.

مواقف حياته، وكذلك قال "علموا بناتكم القرآن ومن القرآن سورة النور" (٣٦)، وذلك لأن سورة النور تحوي الكثير من الآداب الإسلامية الاجتماعية. ولفصاحة اللسان كان المسلمون يرسلون أبناءهم إلى البادية منذ الصغر لتعلم اللغة العربية، ومن الخطابة على أصولها، ربما لأن أصل البادية لم تتأثر ألسنتهم بعكس أهل الحضار لاختلاطهم بشعوب البلاد المفتوحة، وللشاهد على ذلك قول عبد الملك بن مروان "أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية" (٣٧).

وكان الزبير بن العوام يعظ أبناءه بقوله: "تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين" (٣٨)، وقال عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده: "أصلح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنتم والقبح عندهم ما استقبحت" (٣٩).

ومن الأمور المتعلقة بتربية الأولاد، كان رب الأسرة يعود أبناءه بالاعتماد على أنفسهم في طلب الرزق وتحمل مشاق الطلب والسعي، فقد ذكر أن العباس وجد ابنه نائماً فركله برجله، وقال له: "أنتام في وقت يقسم الله فيه الأرزاق؟ ما علمت بأنها للنومة التي قيل فيها مكسلة ومائعة للحوائج" (٤٠).

(٣٦) نفسه، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣٧) نفسه، ص ٢٠٥.

(٣٨) نفسه، ص ٢٠٢.

(٣٩) نفسه، ص ٧٣.

(٤٠) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، المحاسن والمساوي، بيروت، دار صادر، ١٩٧٠، ص ٥٤٧.

### كثرة الأولاد :

حال الجاهلية، مثل حال الإسلام، إلا أنه في عصر الرسالة كان الرسول ﷺ يحث على الزواج وتكاثر النسل كما أسلفنا، بقوله: "تكاكحوا تكاثروا فإنني مباهي بكم الأمم يوم القيامة"، وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٤١)</sup>، فكثرة البنين نعمة من الله عز وجل، لذلك كانت بعض العائلات تفتخر بكثرة أبنائها، ولذلك كانت المرأة التي تلد الأولاد الذكور، يطلق عليها لقب منجبة ومنجاب، وكان ممن اشتهر بكثرة الأبناء المهلب بن أبي صفرة فقيل كان له ٣٠٠ ولد، حتى بلغوا في دولة بني أمية من المكانة المرموقة مبلغ البرامكة في دولة بني العباس<sup>(٤٢)</sup>.

كما كان للوالدين حقوق على أبنائهم، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾<sup>(٤٣)</sup>، حتى ذكر أنه سمع أعرابي حاملا أمه في الطواف، ويردد شعرا عن مدى إحسانه لها، فالتفت إليه أحدهم، فقال له الرجل أتراني قضيت حقها؟<sup>(٤٤)</sup>

وقيل كذلك إن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كان يمتنع من مؤاكلة أمه، فسئل عن ذلك وكان عمره ست سنوات، فقال: "أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينا عليها فأكون قد عققتهما"<sup>(٤٥)</sup>.

---

(٤١) سورة الكهف: آية ٤٥.

(٤٢) الجاحظ، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٢.

(٤٣) سورة العنكبوت: آية ٨.

(٤٤) البيهقي، المصدر السابق، ص ٥٥١.

(٤٥) نفسه، ص ٥٥١، ٥٥٢.

## خلاصة القول :

فإنه بذلك تتضح الصورة ماثلة أمامنا مدى الترابط والتماسك وحياة الأمن والطمأنينة والألفة والمحبة التي كانت عليها حياة الأسرة العربية المسلمة، التي سارت وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كمنهاج قويم نهجته، وذلك بتنظيم العلاقات الأسرية بين الزوج والزوجة والآباء والأبناء وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجسدت في شخص الرسول ﷺ بتعامله مع أهله، واقتنت به الأسرة المسلمة، والتي من مجموعها ولدت خير أمة أخرجت للناس، وتفوقت على كل الأمم الأخرى، فتخرج من مدرسة الأسرة المسلمة أبطالاً وعلماء وقادة وجنوداً عرفهم التاريخ كفاتحين تجسدت أخلاقهم التي تربوا عليها، حتى في ميادين الحرب، ومع معاملة أهالي البلدان التي فتحوها.

والجدير بالذكر أن الإسلام من بداية الدعوة حتى وفاة الرسول ﷺ كان ضئيل العدد والعدة، فكان المسلمون كنقطة في بحر متلاطم الأمواج مقارنة مع جيرائهم من الفرس والروم.

فكان للرسول ﷺ الذي لا ينطبق عن الهوى بعيد النظر، فبارشاداته لتكوين الأسرة المثالية، وبكثرة النسل، وحسن التربية أخذ الإسلام بأسباب القوة للدفاع عن نفسه، وتم نشره ورفع رايته، حتى وصل في فترة وجيزة من الزمن إلى حدود الصين شرقاً وإلى حدود فرنسا غرباً.